

مكانة علوم التربية في تكوين المكونين

اعداد : د. مولاي ادريس شـاهـو
أستاذ بمعهد علم النفس و علوم التربية
لجامعة الجزائر.

الحديث عن مكانة علوم التربية و طرق تعليم العلوم في تكوين المكونين بالجزائر هو بالضرورة استرجاع التاريخ الحديث لهذه الفروع في بلادنا، تاريخ لاعداد الذي كان لي الشرف أن كلّفت به منذ ما يقرب من عشرين سنة والذي يمكنني من الحديث البكم، أولا ينبغي الإشارة الى أن التربية في العالم عامي ما بين 1962 و 1970 كانت تتمثل في مجموعة الطرق أو التقنيات التي تمكن من تبليغ رسالة ما، و هذا حتى بعد انشاء دائرة العلوم الاجتماعي في 1968 اذ لم تكن التربية معترفا بها كفرع مستقل تماما، كانت - أي التربية - تظهر كتعليم متمم في اطار شهادة الليسانس في علم النفس الذي هو علم النفس الطفل و المراهق، الى ما يقرب من اصلاح التعليم العالي في سنة 1971.

في هذا التاريخ كان المشروع الذي قدمته الى وزارة التعليم العالي يتصور انشاء علوم التربية كفروع مخصصة فقط للمعلمين في كل المستويات الابتدائي، الثانوي و العالي لغاية مزدوجة :

1 (ضمان تكوين علمي في العمل التربوي للمكونين.

2) تمكن المهتمين بهذه العلوم على مستوى عال . و لهذه الفروع، ينبغي بالضرورة ربط المؤسسات الأولية في مختلف مستويات التعليم بأهداف البحث و التحريـب التربويـ.

ان هذا المشروع يتطلب - لتأسيـسه - الاعداد المشترك بين مختلف السلطات، التي هي مكلفة بتكوين المكونين و تجدر الاشارة الى أنه لأجل اعتبارات ظرفية و لكون هذا الشرط الأخير لم يوفق بقي المشروع في صورته الأصلية الطريقة الوحيدة - في رأينا المتواضع - لاعطاء علوم التربية المكانة و التطور و التفتح الذي تحتاجه بسرعة، هذا و اذا توصلنا في الوقت الحالي الى المقارنة التي تتمثل في تكوين حاملي شهادة الليسانس في علوم التربية و لم يدرسوا أبدا و لا يعرفون عن التربية غير ما هو نظري و هذا يرحع الى أن القبول للدراسة يتم كما هو الحال في الفروع الأخرى، فقط بالكالوريا بدون أي متطلبات في العمل التربوي أو التعليمي. اذن من المستعجل أن تتم تصحيحات فورية لتحقيق مردودية كبيرة لهذه الفروع، و بالضبط و من خلال هذه الزاوية أريد أن أحدد تدخلني : الذي هو الأزمة الاقتصادية العالمية و الطريقة التي يمكننا ميداننا الخاص من الاتيان بمساهمتنا في القضاء على آثارها، لقد حان الوقت في بلد يخص 30 ٪ من ميزانيته للتربية من التساؤل حول التكلفة الحقيقية للعمل في التكوين الذي تم تحقيقه ؟ و المردود الحقيقي لكل مؤسسة تعليمية ؟ و قيمة المنتج ؟ هذه التساؤلات تأخذ منحى خاصا اذا ما تذكرنا أن مؤسسة التكوين ليس لها من غابة حول طبيعة الانتاج و يعتبن بالتالي أنها أكبر ثروة نملكها يعني شباننا . في هذا المنحى و لجعل حاجز أمام الأزمة الاقتصادية ، سأحدث عن مكانة علوم التربية في تكوين المكونين و تجاوز تحدى عصـر التكنولوجيا .

لنبداً - كما يقول التربوي روسو - بعزل جميع الأحداث و خاصة كما يقول بشلار فيلسوف العلوم - محاربة كل المسلمات الأولية ضد هذا الاعتقاد الذي ليس له من أساس غير جهل التطورات في التربية و هو اعتقاد راسخ بمسك به وارشو النظام الاستعماري، و هذا بالرغم من المجهودات العديدة المبذولة للتجديد، ان هذا اعتقاد بموحه تكفي معرفة الفرع بمفردها و بالتالي فحامل شهادة الليسانس في الرياضيات أو في الكيمياء هو قادر على تعليم الرياضيات أو الكيمياء

في الواقع هذا الموقف يركز على تجاهل تام بالخدمات الصادرة للتربية العلمية التي جعلت من الدول الصناعية دولا متقدمة كالبلدان الأنجلو ساكسونية منذ ما يقرب من قرنين و لا أعطي إلا اشارتين للتوضيح : الأولى : ليس من قبيل الصدفة أن يكون الازدهار الصناعي قد أخذ امتداد معتبرا في انجليترا في القرن الأخير .
و الثانية هي أن مسؤولا فرنسيا كان يقول في اليوم التالي لهزيمة بلاده في عام 1871 : ليس الجندي، و لكن المعلم الألماني هو الذي حقق الانتصار على فرنسا و لهذا و مع فجر الألف سنة الثالثة .

قد يكون من المدهش البحث على شرعية وجود علوم التربية بالجزائر و هذا سبعة عشر سنة بعد انشائها : النسبة لنا : القضية اعترف بهـا و الدليل هو هذا الملتقى و لكن القضية قد تقف في منتصف الطريق اذا لم نتدخل بالتغييرات الضرورية لنعيد الى هذه العلوم مردودها المقبول من خلال الانطلاق من المسلمتين التاليتين :

- 1 () التكوين التربوي للمكونين هو على الأقل ذو أهمية كالتكوين في الفـرع العلمي الذي نحن مدعوون لتدريسه .
- 2 () تكوين المكونين في التربية النظرية هو كذلك مهم كالتطبيق التربوي .

و ما دامت المسألة هنا هي اعداد أساتذة التعليم الثانوي ، فالنموذج الذي أنصح به - و الذي هو عبارة عن مجموعة اقتراحات موجهة لاثراء النقاش - له بالضرورة اتجاهان في ارتباط تفاعلي وثيق واحد نظري، و الآخر لبقى يندرجان في نفس الوقت . ان معلم المستقبل ينبغي بالضرورة علبه أن يتمكن من التحكم في العناصر التالية :

- 1 () معرفة نقدية لنظام التعليم في الجزائر بمختلف مراحله و في مختلف مراحله .

- 2 () معرفة دقيقة لنمط الارتباط الحركي الوظيفي للتعليم الثانوي بمجموع نظام التكوين .

- 3 () معرفة معمقة لسير ثانوية ، لسلطتها ، لتسييرها ، للمبادئ التربوية التي تخدم السيرة الأسبوعية و الشهرية و الفصلية و السنوية لمختلف المـواد التعليمية و صلاحيات كل عضو من أعضاء الادارة للثانوية ، و مجلس الأساتذة و لجنة أولياء التلاميذ .

- 4 () نظرة مقارنة للتعليم الثانوي و للثانويات :

- في العالم العربي.
 - في العالم الأفريقي.
 - في العالم الآسيوي.
 - في عالم أمريكا اللاتينية.
- 5 (معرفة معمقة للتفتيش العام للفرع المدرس، لدوره المحدد كمجال للابداع، للتجريب و للتطبيق.

ان معلما مسلحا كهذا بإمكانه الخوض في بيداغوجية الفرع التي تتضمن بالضرورة :

- 1 (تاريخ التعليم للفرع المعين، الكمياء مثلا في العالم بصفة عامة و في الجزائر بصفة خاصة .
- 2 (نظرية التعليم لنفس هذا الفرع و هي موجودة و من الواجب السعي للبحث عنها .
- 3 (طرق التعليم للفرع التي تشتمل على مبادئ طرق التعليم العامة و الخاصة في كل قسم من أقسام التعليم الثانوي، و على مختلف الطرق المختبرة على مستوى ظواهر اللغة في تطورها و على مستوى ظواهر اللغة في ثباتها في العالم و في الجزائر، اد هنا يتجلى مظهر هام لتحويل التكنولوجيا التربوية من البلدان المصنعة الى البلدان التي هي في طريق النمو .

هذا التدريس لطرق التعليم يكون له خاصة المظهر العلمي فـ في الأقسام المخبرية، حيث يجرب الاختصاصيون و يصنعون في الميدان التقنيات الجيدة المستخلصة مع الاحتفاظ بالصلة الدائمة بالمؤسسات الأكثر شهرة في العالم من جهة و من جهة أخرى يجدر على المستوى الوطني مساعدة - عن طريق الملتقيات و التجمعات - حركة الاعلام و المنافسة بين الزملاء الأساتذة في نفس الفرع و لا ينبغي بحال من الأحوال أن يكون الأساتذة على الهامش لأنهم هم الذين ينبغي لهم أن ينشؤا مكان انعاش البحث في الميدان و على مستوى طرق التعليم، و هم الذين يغذون و ينعشون بيان الارتباط الشهري مثلا، الذي يحافظ على الاتصال بين المفتشية العامة للفرع و الزملاء.

و أخيرا - الاتجاه الأخير للتكوين ينبغي أن يشتمل على الزوايا الآتية :

- 1 (علم نفس التلميذ الثانوي الذي لا ينبغي خلطه مع علم النفس النشوءي .

- 2 (الاستعدادات المدرسية .
- 3 (الفحص المدرسي الذي يشتمل على المردود المدرسي و التنقيط و المشكلات المركزية لعلم التنقيط.
- 4 (قياس المردود المدرسي و مشكلاته المرتبطة بالاختبارات و استعمالها في التعليم الثانوي.
- 5 (الأسس النفسية للتعليم في الفرع .
- 6 (مختلف نظريات التعلم و تطبيقاتها .
- 7 (الابداع .
- 8 (النجاح، الرسوب و التأخرات المدرسية .
- 9 (علم النفس المعلم .
- 10 (علم النفس الاجتماعي للمؤسسة المدرسية و للقسم .
- 11 (التلميذ خارج الثانوية في أسرته و في جماعة المراهقين.

و من البديهي أن يكون بالضرورة للتعليم مفاهيم حول :

- 1 (عصابات المراهقين.
 - 2 (انحراف الأحداث .
- و عليه فهذا البرنامج للتكوين يتطلب بالتالي أن يصاغ على شكل غايات مبرمجة في الزمان و المكان حسب استراتيجية في صلة من جهة بالتخطيط و من جهة أخرى باقتصاد التربية ، و الحديث عن غزارة و جدية مؤسسة كثيرة المتطلبات .
- تلكم هي علوم التربية فروع موجهة بتصميم نحو النجاعة، الانتاجية خصوصية الأنشطة العقلية المحررة من المعوقات العلمانية بفضل تعليم علمي مختصر، مشمر، خلاق، متفتح على التغير، الاكتشاف و الابداع .
- إذا كنا نحن البلدان السائرة في طريق النمو عندنا في بعض الأحيان منحى للاعتقاد بأن التقنية المشتراة بأثمان باهضة هي المفتاح لجميع مشكلاتنا فاننا نتجاهل غالبا بساطة انتاج بيداغوجية أساسية لا تشتري و ينبغي اعدادها في معاهدنا لتكوين المكونين مع احترام المسعى الذي لا أحد فيه الآ الخطوط الكبيرة في عصر الموارخ الفضائية و العقول الالكترونية، لم تعد التربية المجال المختار للحرف و الحرفيين و كما أن الطب من جهته و منذ أمد بعيد تخلص من مشعورديه فانه يجب أن نعرف أن منح ساعة واحدة فقط للتربية العامة و أخرى لعلم النفس في تكوين أستاذ سيكون أجيالا من الرياضيين و الفيزيائيين أمر لا يرجع الى الكفاءة و لكن الى الاحساس بالمسؤولية .

باختصار ان الأمر لا يتعلق باعداد أكلة عن طريق نوعين من التوابل
أو طرد الشيطان بعملية شعودة و لكن بتدعيم سياق علمي للتكوين يستجيب
لأعراف محددة و محققة تكوين رجل العلم هي المهمة الأكثر تعقيدا، الأكثر
حاجة، الأكثر صعوبة . و الجوائز التي عرفت كيف تتجاوز جل التحديات تكون
بفضلكم و بفضل الذين ساهموا في وضع تربية علمية نجحت كليا في تكوينها
للمكونيين.